

من وثائق المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام" حول قضية الصحراء.

فلسطين جديدة في أرض الصحراء

نعم ، (فلسطين جديدة في أرض الصحراء). لأن من تمعن في اتجاه الأحداث ، وتابع تطور مشكل الصحراء ، وأدرك السياسة الاستعمارية الاسبانية ، وأهمية المنطقة اقتصاديا وعسكريا ، وعض النظر عن الجعجعة اللفظية حول (مغربية الصحراء) أو (جزائريتها) أو (موريطانيته) لأنها جميعا تدور في نفس الفلك التقسيمي الاستعماري وتحفظ بالصحراء كقاعدة عسكرية لضرب حركة التحرر الوطني والقوى الثورية في غرب البحر الأبيض المتوسط ... لأدرك ، أن حديثنا عن فلسطين الصحراء أو رودسيا الجديدة ، ليس من باب الإغراء الصحفي المبتذل ، إنه واقع تعيشه الجماهير الصحراوية ، وتحبل به الاتجاهات الامبريالية.

وفي هذه المرة ، تقوم مجلة أنفاس من جديد لتدق ناقوس الخطر ، وتوعي الجماهير المغربية بحقيقة ما يحاك لها في الخفاء ويهددها مستقبلا. وخلصنا ، وبكل جرأة ، وبكل ثقة في قدرة الشعب العربي في المناطق المحيطة و في القوى الثورية الاسبانية. إن مسألة تحرر الصحراء توضع ضمن سياق تحرر الشعوب المحيطة بها ، وبدعم قوي من القوى الثورية الاسبانية ، و منطلق هذه العملية التحررية ، ودعامتها الأساسية ، استقلال الجماهير الصحراوية في المبادرة من أجل التحرر. و كما تعلمنا كل التجارب الثورية ، أن التحرر من الاستعمار لا يمكن أن يكون إلا بالكفاح المسلح ، مع مراعاة خصائص البلد وقوته السكانية والجغرافية.

ولهذه الأسباب بالذات ، تطرح ضرورة دعم مثل هذا النضال الفدائي من الخلف بقواعد انطلاق أخرى ، ومن جميع الجهات المحيطة بالصحراء. إننا أمام غزو استيطاني ، وخاصة بعد موت الدكتاتور العجوز فرانكو ، أمام رودسيا جديدة ، أمام فلسطين جديدة في الموقع الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ولأن العديد من القراء لا يعرف الكثير عن الصحراء ، فقد حاول عرضنا أن يعطي معلومات أولية تعريفية مع الاحتفاظ بالخلاصات الأساسية. ومن الأفضل أن نعرض للقارئ المنهج الذي تبعه التقرير- الدراسة:

- (1) الموقع السكاني
- (2) نبذة تاريخية
- (3) الموارد الاقتصادية
- (4) التركيب الاجتماعي وتطوره
- (5) الحزب المسلم
- (6) حوادث يونيو 1970
- (7) الأطماع المتنازعة والاحتمالات الواردة
- (8) طريق التحرير

1- الموقع والسكان:

تتكون الصحراء من منطقتين أساسيتين: الساقية الحمراء ، و وادي الذهب. وتسمى في الاصطلاح الحالي ب"الصحراء

الاسبانية". وتقدر مساحتها بـ 288 ألف كلم مربع. يحدها من الشمال المغرب ، ومن الشرق الجزائر ، ومن الجنوب موريطانيا ، ومن الغرب المحيط الأطلسي .
يقدر عدد سكانها ، مع التحفظ بـ 250 ألف نسمة ، جل السكان عرب ، ويدينون بالإسلام ، الذي يعتبر بالنسبة لهم إحدى المقومات الأساسية لشخصيتهم المتميزة ضد الغزو الإسباني .

2- نبذة تاريخية موجزة:

حاول الاستعمار التسرب للمنطقة منذ القديم ، ولكنه فشل عدة مرات. وقد حاول في البداية استغلال التركيب القبلي ، لإذكاء التناقضات والفتنة بين القبائل ، ولكن محاولاته لم تنجح .
وبعد فترة بدأ يتسرب عن طريق التعامل التجاري مع أهالي المنطقة ، فأول قافلة تجارية دخلت المنطقة كانت في سنة 1880 ، وذلك عن طريق المقايضة بالسّمك (بيع البضائع مقابل أخذ السمك) ، ثم صارت هذه القوافل الخارجية تبني مراكز لها ، وهي عبارة عن "براكات" تقيم بها حامية قليلة العدد (10 جنود) مهمتها حماية البضائع المستوردة .
وفي سنة 1912 ، لم تشهد المنطقة أي استعمار مباشر ، بل بقيت على تلك الحال حتى سنة 1956 وما بعدها. ولعل ذلك راجع في الغالب لفقر المنطقة واقتصار الاستغلال الأجنبي على اعتبار المنطقة سوقا صغيرة لترويج البضائع دون حاجة إلى وجود استعماري مباشر .

ورغم ذلك ، فقد قاوم السكان حتى ذلك الوجود البسيط للاستعمار ، و طالبوا بطرد الإسبانين نهائيا ، وحملوا السلاح في وجه إسبانيا بقيادة جيش التحرير المغربي. و يسجل التاريخ معركة الدشيرة العظيمة ، التي وقعت سنة 1956 ، و دامت 5 أيام ، وتكبدت فيها قوات الاستعمار الإسباني خسارة 30 ألف جندي .

ومع مجيء استقلال المغرب سنة 1956 ، وقع توقف جيش التحرير المغربي ، لكن السكان لم يرضخوا. فطلب منهم المغرب أن ينظموا إلى القوات النظامية ، و رفض جزء منهم هذا الطلب باعتبار أن الاستقلال الشامل لم يتحقق ، وأنه لا بد من استمرار الكفاح و مقاومة الاستعمار. وتجمهروا جنوب طنطان في مكان يدعى "الشبيكة" ، وإثر ذلك وزعت عليهم السلطات المغربية منشورات تناشد عواطفهم و ولاءهم ، ولكن السكان تشبثوا بصلابة بمبدأ استمرار المقاومة من أجل تحرير الساقية الحمراء و وادي الذهب .

ثم قام النظام المغربي باتصال في مستوى عالي مع رؤساء القبائل ، وذلك في مؤتمر "بوخشبية" ، من أجل إقناعهم بالانضواء في القوات النظامية ، لكن السكان رفضوا .

وأمام هذا الوضع ، استغلت فرنسا الظرف ، و أشعلت خلافا قبليا حريبا دام سنة تقريبا ، وكان المغرب بدوره يساند في هذا الخلاف إحدى القبائل ، في صراعها مع الأخرى. وكان واضحا أن الهدف من هذه الدسائس من مختلف الجهات ، هي القضاء على بقايا جيش التحرير ، وتصفية روحه بين السكان ، وإشعال الفتنة القبلية الأهلية لإلهاء السكان عن الأعداء الحقيقيين .

وحاولت فرنسا سنة 1958 ، تشكيل جمهورية في الصحراء ، تكون عاصمتها تندوف ، فرفض الشيوخ على أساس تأكيد الانتماء للمغرب .

ثم تقدمت إسبانيا ، و رحبت بهم و منحتهم بعض الأسلحة ، واتخذت من قوادهم رؤساء عسكريين للمنطقة .
وبعد استقلال الجزائر ، بقيت منطقة تندوف بدون تحديد ، فأعلن السكان عن مغربية المدينة ، ولكن الجزائر تدخلت فأجبرتهم على الاستسلام ، ثم عملت على دمجهم في المجتمع الجزائري .

وفي سنة 1964 ، حين ظهر الفوسفاط ، بدأت إسبانيا أمام الوضع الجديد ، تنقلب على السكان ، وتكشف عن نواياها

الاستعمارية ، اضطرب السكان ، فبدأ بعضهم يلجأ إلى المغرب ، والبعض الآخر يعتزل ، وبقي ينادي بعدم شرعية مواقف اسبانيا ، ويحرض السكان .

وبدأت المعارضة تنمو في البوادي وبعض المدن ، في الوقت نفسه الذي كانت اسبانيا تؤسس مدينة العيون ، وتهجر الاسبانيين إليها ، وتؤسس فيها مراكز التبشير المسيحي ، إلا أن موقف السكان ظل سلبيا ، ينحصر في المعارضة الصامتة . وفي سنة 1968 ، كانت اسبانيا قد هيات كل شيء لتثبيت وجودها الاستعماري ، إذ أقامت قواعد عسكرية لها في كل من مدينة "العيون" و"سمارة" و"الداخلة" و"المحبس" ، وأقامت حكما عسكريا في وجه أي انتفاضة للسكان ، عند هذا الحد ، بدأت تطورات سياسية هامة . سنرجع إليها في نقط أخرى آتية .

3- الموارد الاقتصادية:

يعتمد السكان في عيشهم أساسا على الحياة الرعوية (تربية الإبل) ، وصيد الأسماك ، والتجارة . ومنذ سنة 1965 ، وقع تطور جديد أعطى لهذه المنطقة أهمية خاصة باكتشاف مناجم الفوسفات والحديد ، والبتروال والغاز الطبيعي . فيما يخص الفوسفات ، يوجد بالمنطقة احتياطي مهم ، ويتركز في منجمي بوكراع ، وتشلة ، اللذين سيتمكنان من تصدير كمية مهمة سنويا . ويمتاز هذا الفوسفات بجودة نوعية حسنة . ويرتكز الحديد في منطقة "الكويرة" ، ورأس بوجدور ، إلا أنه لا زال لا يستغل ، وكذلك أمر البتروال والغاز الطبيعي . واكتشفت الشركة الفرنسية "س.ج.ج" في شهر أكتوبر الأخير البتروال في منطقة "اديات امركبة" (امركبة نوع من النبات) ، قرب "السمارة" . ويوجد هذا البتروال على السطح تقريبا ، وبكميات ضخمة ، بحيث يسهل استغلاله ، لكن البدء باستخراجه لا زال لم يقع . هذه الموارد تجعل المنطقة محل أطماع استعمارية واسعة وكثيرة .

4- التركيب الاجتماعي وتطوره:

أ) التكوين القبلي:

يطغى التكوين الاجتماعي العشائري — القبلي على البادية في الصحراء . ويرتبط هذا بنوعية وسائل الإنتاج المنحصرة في تربية الحيوانات وخاصة منها الإبل ، وحيث تنعدم الفلاحة ، والاستقرار الجغرافي للقبائل . وتنحصر الصناعة التقليدية في إطار عائلي موجه لسد الحاجات الخاصة بالقبيلة ، ولا زال تسويق هذه البضائع ، في إطار سياحي مثلا ، ثانويا .

وتنظيم العمل في هذا المجال يعتمد على "وراثة الحرفة ، واستخدام المعلمين" . وإذا كان نظام التوزيع الوراثي لمملكية وسائل الإنتاج وموارد العيش حسب القانون الإسلامي ساريا ، فإن استغلال مجموع الممتلكات يقع ضمن "العشار" أي أن وسائل العيش يستفيد منها الجميع في إطار عائلي و قبلي . ويوازي هذا التنظيم سيادة القيم الإنسانية المعروفة عند البدو من شهامة ، وعقلية جماعية ، وكرم الخ ...

والأصل في شيخ القبيلة أي رئيسها ، أنه لا يمتاز على غيره إلا بكونه صاحب علم وشرف وكرم ، ويشتغل بملكته تماما كبقية أعضاء القبيلة .

أهم القبائل ستة: الركيبات ، أزركيين ، أولاد تدرارين ، أولاد دليم ، العروسيين ، قبيلة ماء العينين .

ويختلف النشاط الاقتصادي السائد حسب القبائل ، فمنها ما يوجد أغلبها خارج الصحراء في إحدى البلدان المجاورة ، ومنها ما يغلب عليه الترحال ، ومنها من يشتغل خصوصا بصيد السمك ، أو بالتجارة . وطبيعي أن ينتج عن ذلك اختلاف

في مستوى العلاقة ، و بالتالي مستوى التناقض حاليا مع الاستعمار ، وكذلك مستوى الارتباط بإحدى البلدان المجاورة ، من قبيلة لأخرى .

هذه الوضعية القبلية تعتبر عنصرا معرقلا لنمو الوعي الجماعي ، ولحم مجموع الجماهير في نهوض عام وموحد ضد الاستعمار . ولعبت مختلف الدوائر الاستعمارية والرجعية على العقلية القبلية لعرقلة ذلك النهوض بالضبط ، ولمحاولة تحقيق أهداف سياسية في غير مصلحة الجماهير الصحراوية .

ب- بداية التمدين :

أول عامل موضوعي "لتمدن" أو لظهور اللبنة الأولية لنشوء مراكز حضرية ، كان مجيء القوافل التجارية الاستعمارية ، التي كسرت وضعية "الانغلاق" وبدأت تروج العملة النقدية الخ ... وتتمركز المصالح التجارية الامبريالية في لاس بالماس (الجزر الخضراء) . وتعتمد على وسطاء صحراويين ، تأخذ منهم أقساطا باهظة مقابل تسبيق البضائع لهم بعد أن ترى أن فيهم الضمانات الضرورية .

وهناك أيضا كعامل ثاني ، إحداث جيش نظامي دائم ومأجور ، وهناك أخيرا ، وعلى الخصوص ، اكتشاف معادن الفوسفات والحديد ، وبداية استغلالها ، ونمو مراكز حضرية لتجمع السكان واستقرارهم .

أهم المراكز الحضرية الأولية الناشئة :

- العيون : وهي العاصمة ، ويقدر سكانها ب 20 ألف نسمة . وهي أكبر مركز تجاري ، كما تشهد حركة سياحية . يربطها خط للسكة الحديدية بالمنجمين الفوسفاطيين بوكراع و تشلة . وتتوفر على ميناء كبير يتسع لأكثر من باخرتين للنقل . كما توجد فيها المدرسة الثانوية الوحيدة الموجودة في الصحراء .

- الداخلة : ويسود بها صيد السمك ، كما نقلت إليها الولايات المتحدة الأمريكية القاعدة العسكرية التي اضطرت إلى إجلائها من ليبيا .

- السمارة : وبها ثكنات عسكرية ، كما يوجد قربها احتياطي البترول .

- الكويرة : وهي مركز معدن الحديد ، ولها أهمية سياسية نظرا لقربها من "ابطيح الزويرات" المدينة الموريطانية التي تتمركز فيها شركة استخراج الحديد ، والحركة العمالية النضالية دائمة فيها ، والكويرة تنقل أصداء وتأثيرات هذه الحركة النضالية إلى بوكراع حيث يوجد أكبر تمركز للعمال (حوالي 20 ألف عامل ما بين صحراويين وأجانب اسبانيين وغيرهم) .

- المحبس : وهي أيضا ثكنة عسكرية ، لها أهميتها الاستراتيجية نظرا لقربها من حدود البلدان الثلاثة : الجزائر ، وموريطانيا ، والمغرب .

وطبعا ، لازالت هذه البوادر الحضرية جنينية ، بحيث لم تتبلور بعد كوحدات اقتصادية متكاملة التركيب ، وبحيث ينحصر نموها في حدود الحاجات الاقتصادية والعسكرية للاستعمار ، ولكنها مع ذلك أساس موضوعي لاضمحلال العلاقات العشائرية ، وتطوير تناقضات اجتماعية جديدة .

ج- ملامح التمايز الطبقي :

- أول ملاحظة في هذا الإطار ، أن الاستعمار بدأ يستقطب شيوخ القبائل ، ويجعل منهم أدوات لسيطرته ، مقابل امتيازات مادية وسياسية ، وقد صارت تتشكل هذه الفئة على أساس ارسنقراطي رجعي وعميل .

وعادة ما تبدأ القبيلة بالشعور بامتيازات و وصاية الشيوخ و تعاملهم مع الغزاة الاسبانيين . ولاشك أن صعود الكفاح التحرري سيفضح بشكل صارخ خيانتهم التامة لقضية الجماهير . كما أنهم يعتبرون العماد المحلي للمناورات الاستعمارية الرامية إلى إجهاض الوعي التحرري وسد الباب في وجه العواصف الثورية التي تهدد أبعد المصالح الاستغلالية الأجنبية ،

المعدنية والتجارية والعسكرية.

- أما التجار فيشكلون فئة لأبأس بها ، وهم عادة في تناقض مع الاحتكارات الاستعمارية التي تأخذ منهم أقساطا مجحفة ، هذا بالإضافة إلى أن مقتضيات الكرم ، وتسخير الأرباح الضئيلة لضمان عيش كثير من الأشخاص في آن واحد تدفع بكثير منهم نحو الإفلاس.

- هناك فئة من الصحراويين المنضوين في الجيش.

- أما الطبقة العاملة فحديثه العهد ، إذ واكبت نشأتها عملية استغلال منجم الفوسفات (على يد شركة رباعية بمساهمة أموال اسبانية وفرنسية وأمريكية والمانية). ولاشك أن اتساع هذا الاستغلال سيفرض نموها الكمي أكثر فأكثر ، لكن السلطات الاستعمارية الاسبانية تتبع منهجا خاصا في تكوين هذه الطبقة العاملة ، فهي تفتح سجلات في القبائل لكل من يريد العمل في المناجم ، وتأخذ منهم الصور وعقود الازدياد وغير ذلك ، وفي كل مرة تستدعي قسما ضئيلا منهم للعمل في المنجم ، لكن ، ليس بصفة دائمة ، وإنما لمدة ثلاثة أشهر فقط ، يتقاضى العامل خلالها أجرة قدرها الإجمالي 80 ألف فرنكا. وبعد هذه المدة يسرح العامل نهائيا من العمل على اساس أن يتقاضى من الشركة مقابل بطالته الدائمة تعويضا قدره 10 آلاف للعامل المتزوج و 7500 فرنك للعامل الأعزب (شهريا). والرقم التقريبي لعدد العمال الصحراويين 20 الف عاملا ، منهم 15 ألف تعيش في البطالة المعوضة. وأغلب العمال المستقرين والدائمين هم اسبان ، جلبتهم السلطات من بلدها للعمل في الميناء والسكك الحديدية وحتى في قسط من المناجم.

ولا مجال للحديث عن أية حرية نقابية ، وعن أية مساواة داخل العمل ، طبعا. والسياسة الاستعمارية الخبيثة في تشكل الطبقة العاملة كطبقة مستقرة قائمة بذاتها يضر طبعا بإمكانيات النضال العمالي وتطور الوعي الجماعي للعمال. لكن وضع عدم الاستقرار ، والاضطهاد داخل المعمل خلال فترة العمل ، يسمح بنمو وعي مناهض للاستعمار ، ينقله العمال إلى البادية عند عودتهم.

- وهناك أخيرا الفئات الشابة "المبلترة" والعاطلة ، وتمثل أغلبية السكان ، ولازالت إحدى خصائصها عدم الاستقرار الجغرافي ، بحيث تنتقل باستمرار بين البادية والمدينة. وهذه الفئة شديدة التذمر من الأوضاع الاستعمارية ، وجذرية في موقفها من الشيوخ الخونة ، وفي مقدمتها فئة متعلمة وعاطلة ، تعلمت محليا ، أو رجعت إلى بلادها بعد أن كانت في مدارس البلدان المجاورة كالمغرب. وهذه الفئة حيوية ومرتفعة الوعي طبعا ، وعادة ما تجدها في قطيعة تامة مع مخلفات العقلية القبلية. ويمكن الجزم ، على أنها تمثل رأس رمح حركة التحرر وعمادها الأول.

- وإلى جانب هذه الفئة المتقدمة من الجماهير ، فإن "البادية" لا يمكنها أن تبقى في موقفها غير الإيجابي من الاستعمار طويلا ، خصوصا وأن الاستعمار الاسباني ، في إطار تخوفاته ، يعلف الشيوخ العملاء ، ويستفز القوافل الرحل ، إذ يفرض حدودا لنطاق تجولها ، ويخضع الأسواق لرخصته (منذ 1967). الخ ... ويقوم الثكنات والقواعد العسكرية في عدد من نقط أرض الصحراء.

5- الحزب المسلم:

يمكن القول أن "الحزب المسلم" كان رد فعل أولي على محاولات الاحتواء والاستغلال من المصادر الامبريالية والرجعية. ففي سنة 1967 ، كون المغرب "جبهة" من بعض الموظفين المغاربة الصحراويين ، وأعطى رئاستها لمحمدي بن سالك ، لتكون كواجهة لإقرار مطالب الحكومة المغربية أمام هيئة الأمم المتحدة في كون الصحراء مغربية (الجماهير الصحراوية لم تؤيد هذه "الجبهة" لأن ماضي زعمائها سيئ).

واهتدت اسبانيا لنفس المنهج فشكلت بدورها وفدا ادعى أنه "الممثل الشرعي" للسكان ، بقيادة المستشرق (راخيل)

رئيس المخابرات الاسبانية في المنطقة.

وقامت موريطانيا من جهتها تطالب بالصحراء "كجزء من أراضيها". وأمام هذه المناورات بدأت قناعة أساسية تتكون عند السكان وهي ضرورة تشكيل حركة مستقلة تناضل من أجل الحقوق الشرعية والحقيقية لسكان الصحراء ، بالاعتماد على قدراتهم النضالية بالدرجة الأولى ، وبعيدا عن كل المناورات التي تحاك ضدهم ، ومن أجل القضاء على الوصاية التي تحاول أن تفرضها عليهم الدوائر الامبريالية والرجعية.

وقد كان الحزب المسلم التعبير الأولي عن هذا الاتجاه ، وقد تأسس في شهر دجنبر 1966 ، معتمدا في البداية على أفكار خطري ولد الجماني المعادية للوجود الاستعماري ، ثم تعزز بأفكار بصري محمد (بفتح الصاد) ، الذي دخل المنطقة سنة 1967 ، هاربا من متابعة الشرطة المغربية ، التي جرّها عليه موقفه المعادي لتأسيس "الجبهة" المغربية ، والذي أعلن عنه في مجلة "الشموع".

وقد تكون الحزب في سرية تامة ، في مدينة السمارة ، معتمدا على الأقرباء والأصدقاء المخلصين ، وكون له صندوقا ماليا اعتمادا على الواجبات المالية التي يدفعها الأعضاء (يدفع العضو في البداية 2000 ريال اسباني ثم يدفع بانتظام 5% من أجرته). وقد انتمى إليه السكان من كل الفئات (عمال ، جنود ، أصحاب المهن الحرة). وحدد الحزب مبادئه الأساسية كما يلي:

1- تحرير الصحراء من الوجود الاسباني.

2- الانضمام إلى المملكة المغربية مع الاحتفاظ بحقوق السكان كاملة. لكن التطورات فيما بعد وضعت خلافا شديدا الحدة بين قادة الحزب حول هذه المسألة.

3- طريق التحرير هي الحرب المسلحة ، المعتمدة على جيش وطني من السكان. وعلى هذا الأساس ، جمع الحزب الأموال ، وحاول شراء الأسلحة ، ولكنه لم يحصل عليها من أي من البلدان الثلاثة المجاورة ، ووقف عند مرحلة تكديس الأموال.

6- مسلسل حوادث جوان 1970 وأهميتها السياسية:

في سنة 1970 ، عرفت الدبلوماسية المغربية تحركا واسعا ، استهدف الحصول على بعض الغنائم ، مع تكريس الوضع الاستعماري بشكل من الأشكال.

وفي إطار المزايدة أمام الرأي العام الدولي ، نظمت اسبانيا حفلا كبيرا في مدينة العيون ، جلبت إليه العديد من المبعوثين الصحفيين من كثير من البلدان ، وعن كل وسائل الإعلام. وبعثت اسبانيا من جهة أخرى بشاحناتها لجمع السكان من البوادي لإشراكهم في الحفل.

وشعر الحزب المسلم باللعبه ، فقرر المشاركة ، وجمع عددا كبيرا من أنصاره وبنى خيامه الخاصة ، ونظم حفلا خاصا به في ربوة تشرف على مكان الاحتفال الإسباني.

كان الموجودون في الخيام الإسبانية ، من جالية اسبانية ، ومستشرقين وشرذمة من الخونة ، ينادون بحياة "الرابطة الاسبانية - الصحراوية".

وكان الشعب في صمت رهيب في خيام الحزب المسلم ، وبعث الحاكم العسكري للمنطقة رئيس الشرطة والخائن المساعد له ، ليطلبنا من هؤلاء "الانضمام إلى السكان" في الخيام الاسبانية والتباحث مع السلطات في مطالبهم. وأجاب الجميع: "الصحراويون موجودون هنا ، أما الموجودون في خيامكم فهم إسبان مستشرقون ، أو عملاء الإسبان. وبعد استشارة رئيس الشرطة مع الحاكم العسكري العام وقع الاتفاق على "ضرورة تطويعهم".

وذهب رئيس الشرطة ومعه فريق ، بقصد إجبارهم على القدوم. لكن السكان نهروه ، وأعلنوا له أن دخول الخيام ممنوع عليه لأنهم لا يقبلون بتحريك اسباني في المنطقة ، بدون إرادة الصحراويين ، من الآن فصاعدا. فغضب رئيس الشرطة ، فأخرج مسدسه ، وأطلق النار وأردى أحد السكان قتيلا. (وقع ذلك يوم الأربعاء 17 يونيو على الساعة الخامسة عشية).

عندها ، أخذ أحد السكان صخرة وضرب بها قائد الشرطة على صدره ، وانزع مسدسه ، وأفرغ الرصاصتين الباقيتين في اتجاه الشرطة الإسبانية ، ففرت هذه الأخيرة ، لتخبر الحاكم العسكري بما وقع. وجمع الحاكم العسكري توقعات ما يسمى بالسكان (أي عملاء اسبانيا). وأعطى الأوامر للقوات النظامية بتطويق الحزب في خيامه وإطلاق النار عليه من كل صوب ، ففر كثير من السكان وسقط آخرون شهداء. وظلت الطلقات النارية تسمع في مدينة العيون حتى الساعة الثانية ليلا ، وتم منع التجول لمدة ثلاثة أيام. وقد صرحت اسبانيا بسقوط أحد عشر قتيلا ، لكن الحقيقة أكبر من ذلك. ويضاف إليها أن اسبانيا أحرقت بالبنزين 53 شخصا في غابة وادي الساقية البعيدة عن العيون ب 20 كلم.

والمؤكد ، أن كل من عثر عليه الإسبانيون زجوا به في السجن ، وقد حصلوا على كل وثائق الحزب وأمواله. أما رؤساء الحزب ، خصوصا بصري محمد ، ومحمد بن لوشاعة بن البصير ، وخمسة أفراد آخرين ، فإن السلطات الإسبانية وحدها عالمة بمصيرهم لحد الساعة.

وقد تبع هذه الأحداث ثلاثة تطورات أساسية:

- تعمق الوعي الوطني التحرري للسكان ، وتوسع الاستعدادات النضالية فيهم.
- تعمق الاشمئزاز من موقف الأنظمة المجاورة ، وبالتالي تعمق الإرادة على شق التحرير باستقلال سياسي ، واعتمادا على الإمكانيات الذاتية بالأساس.

- غياب القيادة الوطنية ، لأن المعارضة احتوتها السلطات الاستعمارية. ومن أهم الإشارات إلى ذلك ، أن خطري الجهماني ، أحد المؤسسين الأولين للحزب المسلم ، انضم إلى "برلمان" الصحراء. وقد نادى في البداية بالمغربية ، ثم صار ينادي بالحماية لفترة مؤقتة يتم خلالها "تكوين الأطر" ، وهو الآن من "الممثلين" الصحراويين السبعة المنتدبين في البرلمان الاسباني المدعو "الكورتيس". (يتكون "برلمان الصحراء" من 40 عضوا ، ينتدب من بينهم 7 أعضاء إلى الكورتيس الاسباني). وهذه التطورات السياسية ، تجعل جماهير الصحراء تتطلع إلى قيادة ثورية جديدة ، لنضالها التحرري ، وهي تعتقد كل آمالها على الشباب.

7- الأطماع المتنازعة ، والاحتمالات الواردة:

*. أول ظاهرة هي عمل إسبانيا ، على ضمان نفوذها ومصالحها الأساسية في المنطقة ، وبالإضافة إلى التطويق العسكري ، والقمع الوحشي ، والمضي قدما في ابتزاز خيرات أرض الصحراء ، صارت اسبانيا تشارك معها الامبرياليات الأخرى في الاستغلال ، حتى لا تبقى معزولة في سياستها عن الامبريالية العملاقة.

وضمن هذا الإطار تدخل سياسة الشركات متعددة الأطراف لاستغلال المناجم. وهناك أيضا ، حدثان دبلوماسيان هامان ، يرتبطان بعموم استراتيجية الامبريالية في المنطقة ، تلك الاستراتيجية الرامية إلى بناء قاعدة عدوانية ، سياسيا وعسكريا في المنطقة ، ومراقبة مجموع غرب الوطن العربي ، وضرب حركات التحرر الإفريقية.

فقد وقعت اسبانيا وفرنسا ، سنة 1969 ، معاهدة للدفاع المشترك ، لتأمين مصالحهما الامبريالية في الصحراء وموريطانيا بالخصوص.

كما وقع تمديد معاهدة بين أمريكا واسبانيا سنة 1970 ، تقبل بمقتضاها اسبانيا تمديد وجود القواعد الأمريكية في قلب اسبانيا ، مقابل قيام أمريكا بتثبيت وجود اسبانيا في الصحراء "بقواعدها العسكرية في المنطقة ، وبنفوذها السياسي لدى بعض الأطراف المنازعة لاسبانيا ، وبنفوذها الدبلوماسي على الصعيد الدولي .

*الظاهرة الثانية هي تطورات المحور الثلاثي: المغرب - الجزائر - موريطانيا.

والحلقة الهامة في هذا الصدد هو مؤتمر نواديبو المشهور ، والذي فشل حسب اعتراف دبلوماسي. ويظهر أن المؤتمر دار بوضوح ، حول موضوع التقسيم إلى ثلاثة أجزاء:

- 1- المنطقة الشمالية الغنية بالفوسفات ، تتبع المغرب.
 - 2- المنطقة الجنوبية ، الغنية بالبترو ، تتبع موريطانيا.
 - 3- يعطى للجزائر منفذ على المحيط الأطلسي لتمرير معادنها. و وقع خلاف بين المغرب وموريطانيا حول موقع منفذ الجزائر ، حيث يريد كل طرف أن يقع في الجزء التابع للطرف الآخر .
- وقد أساء هذا الموقف التقسيمي طبعا ، إلى سمعة الأنظمة القائمة عند جماهير الصحراء مرة أخرى ، وأكد عندها إرادتها في شق طريق تحرير نفسها بنفسها.

أما فيما يرجع لتناقضات الأطماع بين دول المحور الثلاثي فيظهر أنها قد خفت .

مما يشير إلى ذلك ، من جهة موريطانيا ، كلمة ولد دادة ، في المؤتمر الإفريقي الأخير (1971) ، حيث قال: "يجب أن نعمل على زوال الاستعمار ، من منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب " وهذا في موقفه ، لأنه قبل ذلك ، أكد في عدة مناسبات على "أن اعتراف المغرب بموريطانيا لا يلغي مطالب موريطانيا في الصحراء".

ويظهر أيضا أن الجزائر لم تعد تنازع النظام المغربي ، ربما مقابل:

- اعتراف المغرب بسيادة الجزائر على تندوف.
 - إقرار وضعية الحدود الحالية بين البلدين.
 - اتفاق النظامين في معاهدة إيفران على الاستغلال المشترك لمعادن الحديد في الجبيلات قرب تندوف.
 - وارتبط المغرب بدوره مع إسبانيا ، بمعاهدة لحسن الجوار والتعاون الفني والثقافي.
- * وهناك الآن ثلاثة احتمالات لتطور الوضع السياسي للمنطقة.

أولها التقسيم ، ويروج في الدوائر الرسمية الاسبانية ، حيث يقبل نظام الجنرال فرانكو بهذا التقسيم ، ويرفضه الجنرالات المتشبثون بالسيطرة الكاملة والمباشرة على المنطقة. ويظهر أن المغرب قدم اقتراحا ، يتضمن إعطاء المغرب جزءا من الفوسفات على أساس أن مردود استغلال المناجم ، يتم توزيعه بين أمريكا واسبانيا والمغرب. ويتضمن أيضا سيادة المغرب على المنطقة ، مع ترك "الداخلة" (حيث صيد السمك" في يد الإسبانيين لمدة 30 سنة مع الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية الأمريكية فيها.

- ثاني الاحتمالات ، هو الحكم الذاتي ، ويتضمن أن تشكل حكومة من رؤساء القبائل ، لكن تحت الحماية الاسبانية لمدة معينة ، في انتظار "تكوين أطر محلية". وقد كان هذا الشعار رائجا حتى عام 1970 ، حيث صار يختفي.
- ثالث الاحتمالات ، هو حكم الأقلية الاسبانية ، على طريقة رودسيا ، ومن مقومات هذا الاحتمال:

- 1- هناك ترحيل للإسبانيين بأعداد كبيرة ، قصد جعلهم يشكلون ضغطا سكانيا على طريقة الاستعمار الإسكاني لأرض فلسطين. وقد بدأ هذا التهجير في الستينات ، وتمنح لكل المهاجرين الإسبانيين أقدمية عشر سنوات زورا في المنطقة.
- 2- تعلق العسكريين بالمنطقة ، التي أثروا على حسايبها. ويلاحظ من جهة أخرى تعلق حركة تحرير "الاس بالماس" (جزر الخالدات) بالمنطقة ، حيث يريدون بناء دولة صحراوية بقيادة تلك الجبهة).

- 3- في حالة زوال النظام الفرنكوي ، فإن الصحراء مرشحة للانفصال أكثر من بوركوس ومن لاس بالماس .
4- الاسبانيون يدعون السكان إلى مقارنة سلوكهم في المنطقة ، بأعمال البرتغاليين في جنوب إفريقيا .

8- طريق التحرير:

- إن المعطيات الأساسية في مسألة الصحراء ، تلك المعطيات المترابطة بين بعضها البعض ، يمكن إجمالها كالآتي :
- استمرار ورسوخ الهوية العربية لجماهير الصحراء ، وتشبثها بتلك الهوية .
- تصاعد الوجود الامبريالي ، باتجاه تحويل المنطقة الصحراوية إلى قاعدة عدوانية على مجموع المنطقة العربية والإفريقية المحيطة .
- انكشاف النوايا التوسعية والتقسيمية والاستغلالية البغيضة من طرف الرجعيين المحيطة بأرض الصحراء .
- تصاعد إرادة الجماهير الصحراوية في فرض استقلالها السياسي ، ورفض الوصايات الدبلوماسية والسياسية ، والاعتماد بالأساس على إمكانياتها الذاتية لشق طريقها في درب التحرير .
- غياب قيادة وطنية صلبة لحد الآن ، خصوصا بعد أن تعرضت المعارضة القديمة للقمع ، وبعد أن انضوت بقيتها ضمن المؤسسات الاستعمارية .
- ارتكاز كل الآمال في إعطاء القيادة الثورية البديل في الطلائع الشابة الثورية الصلبة .
- هذه المعطيات ، تمكن من تحديد الملامح العامة لتطور نضال جماهير الصحراء .
1) الدور الطبيعي لجماهير الصحراء في تحرير المنطقة :

إن من العوامل التاريخية الأساسية ، التي عرقلت نمو حركة التحرير في الصحراء ، ضمن الاستعمار الاسباني والسيطرة الاقتصادية والعسكرية والامبريالية وضد الخونة المحليين ، هو التدخل المستمر خلال كل الفترة التاريخية الماضية لتطويق وتفريق المبادرات التحريرية في الصحراء ، وفرض الوصاية عليها من طرف الرجعية المحيطة بأرض الصحراء ، وخاصة منها من جانب الرجعية المغربية . وقد وقع دوما هذا التدخل الرسمي تحت غطاء مغربية الأراضي الصحراوية . ومن الواضح أن الإفلاس الملموس للرجعية على صعيد المعركة الوطنية ، وتعدد ارتباطاتها وتوثق تبعيتها للامبريالية ، يجعلها في الصف المعادي عمليا لتحرير الجماهير الصحراوية .
إن تعمق التناقض بين الجماهير الصحراوية ، والسلطات الاستعمارية ، يسير بموازاة انكشاف التعامل الرجعي – الامبريالي على حسابها ، ويجعلها بالتالي تنفر من شعار "الانضمام للوطن الأم" في ظل الظروف السياسية والتاريخية الحالية .

ومن تم يتخذ الدور السياسي المستقل ، لحركة التحرير الصحراوية طابعه الحاسم في شق الطريق الفعلي الصحيح للكفاح ، طريق العنف الثوري المسلح ، الذي أكدت حوادث يونيو 1970 ، حتميته وضرورته بالنسبة للجماهير الصحراوية المضطهدة . إن شق هذا الطريق ، تحت شعار محاربة الاستعمار الاسباني ، والهيمنة الامبريالية في الصحراء ، بالاعتماد أولا ، على ذات الجماهير الصحراوية ، ليتطلب رفض الوصاية السياسية من الرجعية المحيطة بأراضي الصحراء ، بكل حزم .
2) ارتباط تحرر الصحراء ، بتحرر المنطقة العربية المحيطة :

إن المبدأ الأساسي أعلاه ، ليلغي الشعار اللفظي حول "مغربية" المنطقة ، دون أن يأتي على الضرورة الحتمية ، في تفاعل النضال التحرري في الصحراء مع النضال التحرري في البلدان المحيطة بالصحراء .
وهذا الطرح يلغي النزاعات الإقليمية والشوفينية المختلفة ، سواء كانت من الجانب المغربي أو الموريطاني أو الصحراوي ذاته ، ويستبدل ذلك بمبدأ التضامن بين حركات التحرر في المنطقة . ذلك أن خصائص المجتمع الصحراوي المتمثلة في :

- ضعف عدد السكان.
- الطبيعة الجغرافية الصحراوية للمنطقة.
- وجود "الاجئين" صحراويين في المناطق المجاورة للصحراء ، داخل أراضي البلدان المجاورة.
- وخصائص السيطرة العسكرية والإسكانية الاستعمارية ، هذه الخصائص الموجزة ، تجعل من المستحيل تحقيق النصر على العدو الاستعماري ، إذا لم تعتمد حركة التحرر الصحراوية على قواعد خلفية جماهيرية ونضالية صلبة ، تماما على غرار المسألة الفلسطينية والبلدان المحيطة بها. وهذا الارتباط لا يلغي الأهمية القصوى للمبادرة الكفاحية الصحراوية في تحريك مجمل الأوضاع المحيطة ، ووضع حد للانتظارية الدبلوماسية بممارسة ثورية ملموسة ، ورفع الوصاية باستعادة الثقة بالنفس لجماهير الصحراء. وإنه لمطروح على الجماهير العربية في مجموع بلدان المنطقة ، أن تضع التضامن النضالي مع الجماهير الصحراوية في جدول نضالها الملموس ، كما أن حركات التحرر في المنطقة ، سيكون مطلوب منها إقامة جبهة نضالية صلبة ، لمواجهة المخططات العدوانية ، والاستغلالية ، والتقسيمية الاستعمارية والرجعية من أية جهة كانت ، واضعة أمامها باستمرار ، مصلحة الجماهير في التحرر الشامل من كل أشكال الهيمنة الامبريالية ، ومتجاوزة كل منطق إقليمي ، وشوفيني من أية جهة كان.
- وإن الجماهير المغربية على وجه الخصوص وطلّاعها ، نظرا لطبيعة الممارسات الرجعية البغيضة ، وللمواقف الإصلاحية اللفظية ، عليها أن تلتزم بمبدأ التضامن الفعال والعملي ، مع نضال الجماهير الصحراوية ، واضعة تلك العلاقة ضمن الترابط التاريخي ، بين ذلك الدعم النضالي ، وأهدافها هي ، في التحرر من الامبريالية ، والرجعية العميلة.
- وأخيرا ، فإن على الحركة الديموقراطية في إسبانيا ذاتها ، أن تتضامن نضاليا وجماهيريا ، وبكل الوسائل ، مع كفاح جماهير الصحراء ، وعموم المنطقة ، ضمن نضالها ضد النظام الفاشي بقيادة فرانكو والرجعية الاسبانية.

أنفاس — العدد : 7 — 8

دجنبر 1971 — يناير 1972